

2 - كتاب المعجم

لا يذيع ابن الأبار سرا حينما يقول انه ألف كتاب المعجم هذا على نمط المعجم الذي ألفه من قبله القاضي عياض. وهو يفتح مقدمة معجمه هذا بالإشارة إلى ما احتواه ، فيقول :
« وبعد فهؤلاء الرواة عن القاضي ابي علي بن سكرة الصدفي السرقسطي ويعرف بابن الدراج . سموت الى جمع اسمائهم ، وأبيات عن مكانهم ، بما أمكن ذكره من انبائهم (1) ، مباهيا بهم وبمصرهم ومناغيا ابا الفضل عياض (2) في جمع شيوخه وحصرهم . ولاغرو نحوه في المعجم الذي صنع نحوت ، وفوز قدحى ، باخلاص كدحى رجوت ، ليكون هذا لذلك

(1) في طبعة صوديرا تجد لفظة « انبائهم » . وواضح عدم استقامة الكلمة .

(2) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي . القاضي المحدث الحافظ العاقل . استقر أجداده في القديم بحمة بسطة ، ثم انتقلوا منها الى مدينة فاس ، =

تمة، وإيهون الوقوف منهما (1) عليهم مؤتمين وأئمة. وهم بين صاحب في الاخذ عنه (2) راغب، وتلميذ على السماع منه راتب،
 وبزيد ابن الابار في شرح فضل القاضي ابي علي بن
 سكرة فيذكر أن الاخذ عنه ام يكن مقصورا على اصحابه
 وتلامذته، بل ان شيوخه افادوا من علمه ودرايته بالحديث،
 وان من شيوخه من ذكره في مؤلفاتهم، فيقول:

== ثم الى سبته. وبها ولد. وسمع من مشيختها، وتفقه على بعضهم. ورحل
 الى الاندلس فأخذ بقرطبة عن ابي الحسين بن سراج وابي عبد الله بن
 محمد بن وابي القاسم بن النحاس وابن رشد وغيرهم ورحل منها الى مرسية
 فقدمها في عهد المرابطيين في غرة صفر سنة 508. وكان ابو علي
 الصدفي قد استخفى قبل ذلك بأيام، ونبذ خطة القضاء من غير ان يعنى
 فمكث عياض بقية صفر وشهر ربيع الاول وقابل اثنا ذلك بأصول الصدفي،
 وكتب منها ما أمكن على يد خاصة من أهل الصدفي. ولا شك في ان
 تصرفه هذا كان بأمره. وكان عياض لا يدرك شأوه، ولا يبلغ مداه في
 العناية بصناعة الحديث، وتقييد الآثار وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه،
 والتصرف الكامل في فهم معانيه، الى اضطلاع بالاداب، وتحققه بالنظم
 والنثر، ومهارته في الفقه، ومشاركته في اللغة العربية. انظر ترجمته في
 « ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض » وكذلك في صفحة 294 من
 المعجم لابن الابار. وتوفى في سنة 544.

(1) في الاصل الذي نشره كوديرا « منها » وأرى أن المعنى لا يستقيم
 الا بقراءة « منها »

(2) اي عن ابي علي بن سكرة الصدفي.

« ومن شيوخه من شد ، واعتقد في وقته الفذ ، فكتب من روايته ، وخصه بحظ من عنايته . ذلك لاختصاصه بقربة هي ما هي ، ورتبة في المداة بلغت التناهي . وقد ذكره ابو القاسم بن عساكر في تاريخه ، لدخوله الشام ، ونص عليه في بابها علما يناضى الاعلام »

هذا هو موضوع الكتاب ، تراجم انلاميذ القاضي الصدفي ومن اخذوا عنه ، تلمذة او كتابة بالتراسل ، بغض النظر عن مواطنهم (1) واهلهم .

وعبارة ابن الابار في مقدمة معجمه تشير الى ان ابا الفضل عياضاً قد ألف معجماً جمع فيه تراجم شيوخ الصدفي ، وان معجم ابن الابار يتم ناحية اخرى من دراسة الصدفي بذكر تراجم من تتلمذوا عليه . وبهذا تكمل دراسة الشيخ المحدث اصلاً وفرعاً . فأين هذا المعجم المعزول للقاضي عياض ؟

(1) واضح من الترجمة التي ذكرتها في هامش الصفحات الماضية للقاضي عياض انه لم يلتق بالصدفي ، وان كان قد نقل عن اصوله ، ويرى ابن الابار ان هذا كان باجازه منه .

يقول حاجى خليفة فى كتابه « كشف الظنون عن اسامى
المكتب والفنون » : (1) « المعجم فى شرح مشيخة ابن سكرة (ابى
على الحسين (2) بن محمد السرقسطى الاندلسى) الصدى . المتوفى
سنة اربع عشرة وخمسمائة ، القاضى عياض بن موسى اليحصبى
المتوفى سنة 544 . خرج له القاضى مشيخته ، فذكر فى اولها
ترجمة لابى على المذكور فى اوراق ، وانه اخذ عن مائة وستين
شيخا . ولا يفتأ ابن البار يقتبس من معجم عياض فى معجمه
هو ، ويذكر ذلك فى مناسبات مختلفة ، فتراه يقول احيانا :

(1) صفحة 1736 من المجلد الثانى طبعة اسطنبول سنة 1943 .

(2) هو حسين بن محمد بن فيره بن حيون ويعرف بابن سكرة .
وكلمة فيرة اسبانية - كما يقول ليفى بروفنصال فى P. 223, J. A. 1923 -
وتتطق بكسر الفاء والياء وتشديد الراء المفتوحة . وهو من اهل سرقسطة
سكن مرسية وروى بسرقسطة عن الباجى وابى محمد عبد الله بن محمد
ابن اسماعيل وغيرهما . وسمع بيلنسية عن ابى العباس العبدرى . . . رحل
الى المشرق اول المحرم سنة 481 وحج فى عامه ولقى عددا من العلماء
فى مكة . ثم سار الى البصرة ولقى عدداً من العلماء فى مكة ،
ثم سار الى البصرة ، ولقى بها عدداً من العلماء . ثم ذهب الى
بغداد فسمع بواسط ، من ابى المعالى محمد بن عبد السلام الاصبهاني وغيره ،
ودخل بغداد وأطال الاقامة بها خمس سنوات سمع بها الحديث والفقہ . ثم
رحل منها سنة 487 الى دمشق ومصر والاسكندرية ووصل الى الاندلس سنة
490 وقصد مرسية فاستوطنها . وقعد يحدث الناس بجامعة ، ورحل اليه =

« واهم بذكر عياض في المعجم وفاة فلان . . . (1) ، « وقال
عياض (2) في المعجم كذا . . . ، « وحكى القاضي عياض في اول
المعجم ان انفراد ابي علي الصمد في بالامامة في الحديث بالاندلس
لم يكن الا بعد وفاة كنيه وسميه ابي علي الغساني آخر لمسندين
بقرطبة . . . (3) ، « والابيات التي اولها :

وشادت دينه التشيع بالكرخ يضا هي افصون بالليل
انشدها القاضي عياض في المعجم . ومن طريقه تتصل لنا باسناد
الانشاد الى قائلها . وهي عندنا عن ابي الربيع شيخنا عن (4)
الخ « فهذه جميعها مقتبسات تدل على ان ابن البار درس معجم

== الناس من البلدان وكثر سماعهم عليه . وكان عالما بالحديث وطرقه ،
عارفا بعلمه ، واسماء رجاله ونقلته . وكان حافظا لمصنفات الحديث ، ذاكرا
لمتونها واسانيدها ورواتها . وكان قاضيا دينيا متواضعا . استقضى بمرسية
ثم استعفى فأعفى . وحضر وقعة كتندة بالرغم من كبر سنه ، فقتل بها سنة
514 (1120) وكانت سنة نحو من سبعين سنة . ولم يكن بشرق الاندلس
في وقته مثله في تقييد الحديث وضبطه ، وروايته (راجع : بغية الملتمس
للضبي ، والصلة لابن بشكوال ، ونفح الطيب صفحة 365 الجزء الاول) .

- (1) صفحة 8 من معجم ابن البار .
- (2) صفحة 28 من معجم ابن البار .
- (3) صفحة 78 من معجم ابن البار .
- (4) الصفحات 120 ، 188 ، 204 من المعجم .

عياض دراسة جيدة وافية ، وافاد منه واعتمد عليه باعتباره
مصدرا من مصادر تاليفه : (معجم تلاميذ الصدفى) . وهو قد
أكمل ما وجد فيه من نقص ، وعاق عليه احيانا .

وبهذا التاليف - تاليف معجم اصحاب الصدفى - أكمل
ابن الابار الشق الثانى من حياة الصدفى . فعياض كتب
المشيخة وابن الابار كتب التلاميذ .

ومن الغريب أن كوديرا زبدين لم يشرفى المقدمة
اللاتينية التى كتبها لمعجم اصحاب الصدفى ، الى معجم عياض
بشيء مطلقا .

وهنا نتساءل أين معجم عياض هذا ؟ الغالب انه فقد .
فنحن لا نشر عليه فى فهرس المخطوطات العربية ، وهو لم
يطبع . ولا نجد ممن كتبوا فى الادب العربى وتاريخه من
يشير الى وجوده بكثير او قليل ، اللهم الا ما ذكره حاجى
خليفة فى كشف الظنون ، كما اشرنا الى ذلك .

ولو كان هذا المعجم قد وجد لامكن بدراسته المقارنة بينه
وبين معجم ابن الابار فى اصحاب القاضى ابن سكرة .

ونعود الى معجم ابن الابرار ونقول انه يضم تراجم لثلاثمائة وخمسة عشر راوية من رواة الحديث الذين تعلموا على الصدفي، غير من ضاعت تراجمهم فيما ضاع من صفحات المخطوط الذي نقل عنه الكتاب .

وقد اعتمد ابن الابرار في استقاء معارفه اوضع هذه التراجم واللاقتباس على نحو من تمانين مؤلفاً . وهو يذكر احيانا المؤلف باسمين مختلفين . وقرأ من مؤلفات عياض (1) البرنامج (2) والمعجم . وهو ينص من حين الآخر على انه قرأ كتاب كذا وكذا وعلق عليه (3) بخطه .

وواضح من قائمة الكتب التي نشرها كوديرا في آخر المعجم ، والتي اشار اليها ابن الابرار في هذا المؤلف ، ان هذا الاخير قرأ جميع ما نشره المؤلف ، أو روى عن ابي علي

(1) انظر ترجمته مفصلة وكتبه في أزهار الرضا ونفع الطيب. وقد ترجم له السيد عبد الله كتون في «النبوغ المغربي في الادب العربي» في الجزء الاول، صفحة 79 والجزء الثاني.

(2) نعم لدينا مخطوط برنامج القاضي عياض وهو فهرسة مشيخته هو، ويضم مائة ترجمة لشيوخه .

(3) انظر صفحة XIV من مقدمة المعجم اللاتينية.

الصدف ، قراءة باحث متخير .

وهنا تلفت نظرنا ظاهرة غريبة هي ميزة ابن البار

التأليفية التي تظهر في جميع مؤلفاته التي اشرنا اليها .. ما وصل

منها الينا وما لم يصل - قدرته على مراجعة جميع هذه المصادر

التاريخية والادبية ، واستيعاب ما فيها ، ثم تخير ما يحتاج اليه

ومقارنته في اكثر من مصدر ، وتحقيقه ووضع في الصيغة النهائية

المناسبة للكتاب المؤلف . ولا بد ان يكون ابن البار ذا ذاكرة

حافظة واعية قوية يستطيع بها ان يذكر مواطن المادة التي يريد

استخلاصها ، فيرجع اليها بسرعة في مصادر مختلفة ويتذكر ما

روى له ، ولا بد كذلك انه كانت عنده مكتبة قيمة كبيرة ، ضمت

جميع هذه الكتب التي اعتمد عليها في تأليفه او مظهرها . ولا بد

انه كان لديه الوقت المتسع للاطلاع والكتابة .

وترتيب المعجم بزعم انه يتبع النظام الهجائي المؤلف .

والكنه يختلف عنه في الواقع كما حدث في التكملة ، من ذلك

انه يبدأ باسم « احمد » قبل اسم « ابراهيم » مع أن الثاني

له الصدارة لتقدم الباء - بعد الالف - على الحاء . وامل السبب
في هذا هو التيمن والتبارك باسم احمد - صلى الله عليه وسلم -
وتقدمه على سائر الاسماء كما ذكرنا .

فإذا انتهى من ذكر تراجم الاسماء التي تقع تحت
حرف من الحروف ختمها عادة بعبارة تدل على ذلك . من هذا
قواه عند الانتهاء من ترجمة من يبدأ اسمهم (1) بالالف :

انقضى حرف الالف ، وعداد من فيه ثمانية وخمسون
رجلا . وانما ذكرت كل كبير السماع او شهير السماع ، الا (2)
افذاذاً (3) اشرت اليهم ونهت عليهم . ومع هذا بالتكلمة (4) على
نحو اربعين منهم مشتملة . وهي من الاشهاد ادعوى الاجتهاد ،
نفع الله به ، وقد يوجد هنا من يمدم هناك . ولا اغفال فعمداً

(1) صفحة 69 من المعجم

(2) كان ينبه على هؤلاء « الافذاذ » بذكرهم تحت عنوان خاص هو
« وفي الافراد »

(3) هكذا اجد كلمة « أفذاذا » في طبعة كوديرا . وأوثر ان اقرأها « أفرادا »
ولعل المخطوط كان غير واضح في هذه الكلمة ، لان كلمة « أفرادا » تنسجم
اكثر في المعنى وتوافق ما اشار اليه قبل تحت عنوان « وفي الافراد » .

(4) هكذا الكلمة « بالتكلمة » والاصح عندي « فالتكلمة » ليستقيم المعنى
ويريد بالتكلمة هنا « تكلمة الصلة » وهو الكتاب الذي الفه قبل المعجم .

فعلت ذلك .

ثم ينتقل من حرف الالف الى حرف الجيم ، ويقول قبل البدء فى الاسم الاول من حرف الجيم ، وليس فى ما بعد الالف الى الجيم معروف من هؤلاء الرواة ولا مكثراً .

ونجده كذلك بعد الانتهاء من تراجم من فى حرف الجيم والحاء والحاء يقول : ليس فى هؤلاء الرواة من اول اسمه دال ولا ذال ، وعدة المذكورين فى الحروف الثلاثة الجيم والحاء والحاء ثلاثة عشر منهم فى التكملة تسعة رجال .

وبعد الانتهاء من حرف الظاء يقول : وليس فى حرف الكاف من هؤلاء الرواة من اذكر . وعدة من فى هذه الحروف الاربعة - يعنى الراء والزاي والطاء والظاء - مع الآتى فى حرف اللام بمقب هذا ثمانية رجال جميعهم فى التكملة الا زياد بن الصفا . وهم من حرف الالف الى حرف الميم تسعة وسبعون .

والمتتبع لترتيب التراجم لايجدها اذا تتبع لا النظام الهجائى ولا الابجدى . من ذلك انما نجد حرف العين بعد حرف الميم مع انه سابق له فى الترتيب الهجائى ، وحرف السين

بعد حرف العين ، مع انه سابق له في الترتيبين الهجائى
والايجدى. ولا يذكر لنا ابن الابار السبب في هذا الترتيب (1).

ويجىء حرف الياء - وهو الاخير - بعد حرف السين مباشرة.

اما التراجم نفسها فتختلف طولا وقصرا بحسب اهمية
الترجم ، وما يريد ابن الابار ان يذكر عنه . وغالبا ما يذكر تاريخ
الوفاة ومكانها ، او صورتها ، مات شهيدا ، مات قتيلا . . . الخ .

وقد ظل اصل المعجم مخطوطا بمكتبة الاسكوريال حتى
اشرف على اخراجه وطبعه المستعرب الاستاذ كوديرا
ي زيدى . *F. Codera et Zaydin* الاسبانى . نشره في سلسلة

المكتبة العربية الاسبانية المسماة : *Bibliotheca Arabico - Hispana*
تحت اسم *ALMOCHAM (Dictionarium Ordine Alphabe-*
tico) Ab , Aben Al - Abbar . Matriti , MDCCCLXXXVI

(1886) وقدم له الاستاذ كوديرا بمقدمة لاتينية ، ذكر فيها نبذة
عن ابى علي ابن سكرة الصدفى ، ونبذة عن تاريخ ابن الابار
وكتبه ، ثم تعرض لكتاب المعجم نفسه ، وبين كيف وجد

(1) ذكرنا في تعليق سابق ان هذا هو ترتيب الحروف الهجائية
المتبع في المغرب ، وبذلك زال الاشكال فى هذا الامر .

مخطوطه ، وما كان في المخطوط من نقص وفجوات ، وذكر شيئاً عن تاريخ المخطوط نفسه وكيف وصل الى مكتبة الاسكوريال ، ويذكر كوديرا ايضاً انه عمل بعض التهميشات الضرورية (1) باللاتينية . ثم عمل له اخيراً فهرساً للاسماء الواردة في الكتاب وآخر للامكنة ، وثالثاً للكتب . وظهر هذا المعجم باعتبارها الجزء (2) الرابع من سلسلة المكتبة الاسبانية العربية المذكورة ومن المقدمة اللاتينية يمكن ان نستخلص ان مخطوط الاسكوريال يحتوى على 82 ورقة (3) فيها متن المعجم ، وثلاث ورقات اخرى - واحدة في اول صفحات المتن وثمانان في آخرها - تحتوى على مذكرات عن كتاب التكملة . وقد لاحظ كوديرا

(1) انظر هوامش الصفحات 6 ، 272 ، 315 ، 323

(2) اما الاول والثاني فهما الصلة (جزان) والثالث بغية الملمس للضبي

(3) يقول ليفى بروفنصال في مجموعة Les Manuscrits Arabes de l'Escorial Tom . III P . 242 , No 1730 :

وليس في المعجم اشارة الى تاريخ نسخه ، ولكن يمكن أن يكون قد كتب في سنة 721 (1321) لانه كان في حيازة محمد بن رشيد ، وفي مكتبة الاسكوريال عدد من المخطوطات التي احتوتها مكتبته ، والتي أشار إليها في رحلته . ويقول ان المخطوط يحتوى على 81 صفحة ، وفي الصفحة 31 سطراً ، ومساحتها 24 سم × 16 سم .

ان هذه الورقات الثلاث كانت مكتوبة بخط حديث العهد بالنسبة للمتن وغير جميل . وام تطبع هذه الورقات الثلاث مع الاصل . وفي الصفحة الواحدة 31 سطرا ، وطول المكتوب من الصفحة 17'03 سنتيمترا وعرضه 11'05 . اما الصفحة كلها فطولها 23'04 سنتيمترا وعرضها 16'05 . والمكتوب بالخط المغربي ، وفي صورة واضحة سهلة القراءة .

وفي الهامش تعليقات على المتن تتضمن تصحيحه او حذف بعض ما ورد فيه . وهذه التعليقات بخط من نسخ هذا المتن او بخط من راجعه على (1) نسخة اخرى .

والمخطوط في تسم ملازم وفي نهاية كل منزلة نجد كلمة تدل على الكلمة الاولى في المنزلة التالية . ومن مراجعة هذه الكلمات يتضح انه لم يضمن من الاصل شيء ، اللهم الا عند صفحة 80 فان هذه الصفحة واربعاً بعدها تالفة منها صفحتان مفقودتان .

(1) بعض هذه الهوامش لا يذكر اسم كاتبها ، وبعضها (وضعبه محمد بن رشيد) وبعضها من خط ابن الجلاب (انظر صفحة 174) وقد ترجمنا ابن رشيد في مكان آخر .

ويبدأ المفقود من هذه الصفحات المخطوطة في المتن المطبوع (1)
عند نهاية صفحة 315 .

ويظهر من عبارات ومذكرات وجدت في آخر الكتاب
وفي هوامشه ان المخطوط كان في حيازة ابي عبد الله محمد بن
رشيد الفهرى ، ثم في حيازة ابنه يحيى الذي آل اليه المخطوط
بعده . ونحن نجد في هوامش الكتاب عبارات كالتالية :

« انشدنا الشيخ الامام المحدث الصوفي ابو بكر محمد
بن احمد بن علي القسطلاني ابقاه الله ، غرة شعبان المكرم
عام 685 (بالقاهرة) قال انشدني ابن كمال الدين ابو العباس
احمد قال : انشدنا ابو الربيع سليمان بن عمر المالقي قال :
انشدنا ابن العريف . . . (2) وكتب محمد بن رشيد »

(1) يلاحظ القارى هنا عدم انسجام المعنى . وقد علق الناشران في
الهامش بقولهما : « وهذا يوجد شىء مفقود في المخطوط . وليس لدينا من
الملزمة السابقة الا أربع ورقات فقط . وكانت الورقة الثمانون مختفية
في المخطوط رقم 83 فاعادها الاستاذ روبرا الى مخطوط المعجم . والرأى
عندنا ان المفقود ورقتان فقط واحدة قبل الورقة التاسعة والسبعين والثانية
بعد الورقة الواحدة والثمانين » راجع صفحة 315 من المعجم .
(2) صفحة 21 .

« الصحيح سنة ست كما ذكر ، كذا قرأته بخط السلفي
رحمه الله على نسخة من المجالس المذكورة (1) قاله ابن رشيد ،
ومن الهامش المذكور فوق ، نقلا عن صفحة 21 من المعجم
يتبين لنا ان ابن رشيد (2) كان حيا في سنة 685 أي بعد وفاة
ابن الأبار بسبع وعشرين سنة . ولكن خط المتن - كما يقول
كوديرا يخالف خط الهوامش التي كتبها ابن رشيد . فمتى ،
ومن كتب المتن ؟ اننا نجد في الصفحة الأولى من المخطوط
المبارة الآتية :

« قرأ علي جميع هذا الكتاب ، وهو المعجم في أصحاب
القاضي ابي علي ابن سكرة الصدفى ، مكاتبه لنفسه الفقيه
المحدث الضابط المحقق البارع ، المتفنن الاحفل ، نخبة العصر

(1) صفحة 50 . كذلك راجع هوامش الصفحات 201 و 213 و 298 .
(2) نعم هو كذلك فقد ولد بسنة 657 وبهانشأ وتوفى بفاس
في محرم سنة 721 وقد كان ابو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد محدثا
مسندا متضلعا بالنحو واللغة والعروض عالما بالادب ، حافظا للاخبار والتاريخ ،
عارفا بالقرآت السبع ، خطيبا قديرا . وكان كثير الترحال والتجول في البلاد
(انظر ترجمته من صفحة 136 من الجزء الاول من النبوغ المغربي في الادب
العربي للسيد عبد الله كنون .)

ومالك اعنة النظم والنثر، ابو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر
بن رشيد الفهرى، حرم الله كماله ، وسقى آماله واعتماله .
وحدثته به عن مؤلفه شيخنا الحافظ الحافل الكاتب الكامل ،
الصدر الاوحد ، خاتم أئمة الآثار والاسناد ، وضابط مالا
يدخل تحت الحصر والاعتداد، ابى عبد الله محمد بن عبد الله
ابن ابى بكر القضاعى ابن الابار - رحمه الله ، والحقه رضاه -
سماعا منى عليه ببيجاية حرسها الله تعالى ، فى حدود عام خمس
وخمسين وستمائة ، بقراءة صاحبنا الفاضل المحدث العدل
الحافظ المحقق الاوحد الشهير ، ابى عبد الله بن الجلاب ، رحمه
الله عليه . وقد حدث شيخنا ابو عبد الله المذكور فى مواقع من
هذا الكتاب عن جماعة هم فى عداد شيوخى الذين رويت عنهم
او اجازونى كتبنا . فحدثت بما استفدت فى ذلك منهم كابى عيسى
بن ابى السداد . . . وغيرهم . . . وحضر للسمع (1) بهذه
القراءة النبيهان الحسينان النجيان الذكيان التركيان ابو القاسم

(1) اى حضر المجلس مع علي بن محمد بن ابى القاسم بن رزين
التجيبى عند قراءته المعجم على ابن الابار فى سنة 655 ببيجاية .

احمد بن الشيخ الفقيه الكاتب الفاضل الاسنى ابى الطاهر
اسماعيل بن الشيخ الفقيه الافضل المرحوم ابى عبد الله محمد بن
يحيى بن عبد العزيز الفسائى ، وابن عمه الاجل ابو الفضل
محمد بن الشيخ الفقيه الافضل ابى عبد الله محمد بن يحيى المذكور
وحدثهما به عن مؤلفه الحافظ ابى عبد الله المذكور ، رحمة
الله عليه .

قال ذلك ، وكتبه بخط يده العبد القن لله تعالى على بن
محمد بن ابى القاسم بن محمد بن محمد بن ابى بكر بن رزىن التجيبى
بمدينة تونس حرسها الله ، بتاريخ العشر الوسيط اشهر ذى الحجة
مختتم عام خمس وثمانين وستمائة .

ومن هذا يفهم ان ابن رشيد صاحب المخطوط قرأ النص
على الشيخ على بن محمد بن رزىن التجيبى ، قرأه مع غيره
من التلامذة . وان التجيبى هذا تتلمذ على ابن الابار وقرأ عليه
المعجم (1) فى بجاية سنة 655 . وليس معنى قراءة النص ان

(1) هذه الاشارة العارضة تدل على ان ابن الابار كان يقوم بالتدريس
فى بجاية فى تلك السنة . ولم يذكر هذا احد ممن ترجموا ابن الابار .

يكون هو عينه المخطوط المقروء والذي وصلنا . بل قد يكون
المخطوط اقدم من وقت قراءة النص ، وقد يكتب النص بعد
القراءة ثم يعرض على الاستاذ ليكتب اجازته للتلميذ فهل مخطوط
المعجم الذي وجد بالاسكوريال اقدم كتابة من سنة قراءة ابن
رشيد هذا المعجم على الشيخ علي بن محمد بن ابي القاسم التجيبي
او احدث منه ؟ نحن لانعرف السنة التي قرأ فيها ابن رشيد
على التجيبي ، والكذا واثقون ان هذا المخطوط . ان كان هو
عينه الذي تملكه ابن رشيد . لم يكتب بعد سنة 685 . ونجد
كوديرا يقول في المقدمة اللاتينية : ان خط المتن اقدم من خط
الهوامش والتعليقات ، ويرى ان ناسخ المتن كان معاصرا لابن
الابار . وعندى ان هذا الاستنباط لا يعتمد على دليل قوى ،
وان الارجح ان يكون المتن قد كتب سنة 685 كما ذكر . اما
من الذين تداولوا هذا المخطوط حتى وصل الى مكتبة
الاسكوريال ؟ فهذا سؤال لا نستطيع الاجابة عنه . ويكفى ان نقول
انه كان قبل ان يصل الى الاسكوريال في مكتبة سلطان مراکش
ابى العباس احمد المنصور الحسى المعروف بالذهبي وماهى ذى

العبارة التي وجدت في آخر المخطوط .

«اشترى الخزانة المباركة العلمية الامامية المنصورية الحسنية

المواوية ، عمرها الله بدوام ذكره ، على يد عبده وقيم خزانة

اهل عبيده بن الحاج . . . بالاندلسي . منحه الله

رضاه ، بمحمد وآله صلي الله عليه وسلم » . وقد حكم هذا

السلطان مراکش من سنة 1578 الى سنة 1603 م . ولا ندرى

كذلك متى نقل هذا المخطوط او اشترى لمكتبة الاسكوريال (1)

وتاريخ تأليف المعجم يحتاج اشيء من التحقيق . فالاستاذ

كوديرا يقول انه لا يعرف متى ألف ، كذلك لا يتعرض ليفي

بروفنصال لتاريخ كتابته برأي ، حدد واضح ، فهو يقول في

المجلة (2) الافريقية : وقد تلامذ علي ابن سكرة عدد كبير من

(1) يقول اصدقاؤنا بالمغرب ان القراصين الاسبان استولوا على

مركب للسلطان زيدان بن المنصور المذكور (1012 - 1037) وكان محتويا

على نفائس من جملتها 3000 مجلد من كتب الدين والادب والفلسفة ،

وقد اضيقت الي الاسكوريال ، ولا شك ان المعجم مما كان فيها .

Levi Provencal, J. A. 1923, April - Juin , P 223 « Un siècle plus

tard , le biographe Ibn al - Abbar consacrait a ses disciples un

répertoire au معجم public par Codera ...

الناس مثل القاضي عياض ، وابن بشكوال ، مؤلف كتاب الصلة .
وبعد موت ابن سكرة بقرن ، ألف ابن الأبار معجماً وقفه على
تراجم تلاميذه .

وعندي انه يمكن محاولة تحديد المدة التي كتب فيها
المعجم . فنحن نجد المؤلف يشير صراحة في اماكن كثيرة من
المعجم الى كتابه « تكملة الصلة » ، ويقول وقد ذكرت ذلك في
التكملة . . . الخ . ومعنى هذا ان المعجم الف بعد ان تم
تأليف التكملة . فمتى الف « التكملة » ؟

قام الاستاذان « بل » ، وابن شنب *Bel et Mohamed*
Benshanab بعمل تحقيق لتاريخ كتاب التكملة ، كما ذكرنا .
ووصلا من هذا التحقيق الى ان ابن الأبار اتم تأليف كتاب
التكملة في بدء سنة 631 ، وانه امضى نحو عشرين سنة في
مراجعة هذا المؤلف اي انه اتمه في صورة (1) نهائية سنة 651 .

(1) انظر مقالا بقلم هذين الاستاذين في *Revue Africaine* , 1918, P. 306
وكذلك تحت كتاب « تكملة الصلة » في هذا المؤلف بالصفحات السابقة
وهي من 92 الى 109 .

فإذا اخذنا سنة 631 على انها بدء المرحلة التي صار فيها كتاب التكملة مؤلفا في هيئة عامة صحح ان تقول ان المعجم الف بعد سنة 631 هـ . وقد عثرت في المعجم (1) على العبارة الآتية عند نهاية ترجمة محمد بن يوسف بن عبد الرحمن بن محمد بن مروان الانصارى : « هذا اول حديث اسنده الدارقطنى في المؤلف والمختلف من تأليفه . وسمعت جميعه على القاضى ابي الخطاب ابن واجب رحمه الله ، بمنزله من بلنسية جبرها الله في سنة 609 ، (2) . فعبارة « جبرها الله » هنا تدل على ان تاريخها كان بعد سقوط بلنسية في يد النصارى اى بعد سنة 636 . فاذا كان تاريخ هذه العبارة هو تاريخ تأليف كل المعجم صحح الاستنباط بان المعجم الف بعد سقوط بلنسية اى بعد (3) سنة 636 . وثمة قرينة اخرى يمكن بتحقيق تاريخها تحقيق تاريخ كتابة المعجم . فاذا نجده ينتهى منه بما (4) يأتى :

(1) صفحة 102 . (2) ص 328 - 324

(3) وهو ايضا تاريخ جاء تاريخ اتمام تأليف التكملة .

(4) صفحة 324 .

د يقول ابو عبد الله حكيم بن سعيد بن حكيم بن عمر بن
 حكيم القرشي . ووقعه الله . كتب سيدي ومولاي ابي رضى الله
 عنه ، الى الفقيه الكاتب ابي عبد الله القضاعى رحمه الله .
 وواف هذا المعجم . لا بحث به اليه . ابيانا من نظمه وهى
 (انشدتها على الفائد ابي محمد ، مولى الرئيس قال انشدنى مولاي
 لنفسه) :

يا طول فخر قضاة باخيها	ما ذا أفاد من العلوم بنبيها ؟
أهدى اليهم من نتائج فكره	حالا يحلى بالهدى مهديها
والاربعون (1) الاربعينيات قد	شهد الجميع له بفضل فيها
وابان فى التاريخ كل هداية	ظل الثرمان ، ضلالة ، يخفيها
فيوصل تكملة الى الصلة اغتدى	يدعى جليلا فى الانام نبيها
وبمعجم اصحابة الصدقى صا	دف غرة قد صان من يرميها
فيحقه يدعى ابو عبد الالا	ه مؤرخا ومحدثا وفقهيا
واذا جواد الكتابة أجريت	لم يجر الا لاحقا (2) ووجيها؟

(1) يقصد كتابه « الاربعون حديثا من الاربعين شيئا » .

(2) اللاحق والوجيه من جواد العلبة .

فجاوبه ايده الله وأعلى يده الفقيه ابو عبد الله رحمه الله بما اسطره:

تلك الجزيرة اقبلت تنويرها سحب تنال بسقيها تنويرها

في البحر لم تبحر فما جدوى الحيا

فخرها برئاسة حكومية

ألفت أبا عثمانها ذا سيرة

فتألفته وأزافته مجاهداً

ندب الى الخبرات منتدب فن

ذات الاله بها علاقة ذاته

فك الرقاب صنائعا مذ قام لم

ولقد كسا حتى الصحائف جدة

صدرت وقد وردت على متن الهدى

لا زال تغر سده ينزهى به

لم آله مدحا له وخالاه

أزرى بقولى في قرين قوله:

فهي قرينة قوية على ان ابن الابرار أهدي نسخة من المعجم الى

سعيد بن حكم القرشي المكنى ابا عثمان، والذي كان يحوى

الثغر . فمن هو سعيد بن حكم هذا ؟

هو أبو عثمان سعيد بن حكم القرشي والى جزيرة

منورقة من قبل أبي يحيى بن أبي عمران التينمالي . واصله من

مدينة طلييرة (1) في غرب الاندلس . وكان جواداً كريماً يشجع

العلم والامناء . والفت باسمه تأليف كثيرة . وكانت بينه وبين

ابن البار مودة وصداقة ، وكثيراً ما كتب اليه ابن البار

مستشفعاً ، ومدحه بقصائد جميلة ، وقد ظل والى الجزيرة (2) الى

ان مات فاستولى عليها الروم . ويقول المقرئ انه مات بعد أخذ

الروم جزيرة ميورقة بمدة . ولكن دائرة المعارف تقول انه

بقي حاكماً على الجزيرة من قبل ملك أرغون من سنة 630

الى سنة 685 هـ (1232 - 1286 م) .

انه من الصعب اذاً تحديد تاريخ الاهداء بالضبط ، ولكنه

(1) صفحة 585 من الجزء الثاني من نفع الطيب طبعة مصر . ولكن

ترجمة نفع الطيب الى الانجليزية التي قام بها Pascual de Gayangos تذكر في صفحة 333 من الجزء الثاني ان اسم المدينة Tabirah طلييرة أو هي (Tavira) .

(2) وكان يحيى الثغر الجنوبي الذي على بحر الشام من غزو الروم بلاد الاندلس .

كان على كل حال بعد سنة ٥٥٣٦ هـ (سنة سقرط بلنسية) وقبل
موت ابن الأبار .

وإذا فمن الممكن القول - على وجه التقريب - بأن تأليف
المعجم كان حوالي سنة ٦٤٠ هـ .

أما أسلوب المعجم فلا يختلف عن أسلوب التكملة في شيء
فكلا الكتابين جمع وتصنيف، وكلاهما مقتبس من كتب أخرى
ونصيب ابن الأبار في الكتابة الانشائية بالمعجم أقل من نصيبه
في التكملة، لأنه لم يقابل أحداً ممن كتب عنهم في المعجم، وكل
ما كتبه عنهم إما نقلاً من كتب أخرى وإما سماعاً من رواية .